الى الحق ودفعهم عن البدع لان طبائعهم قد تكدرت وفطرهم قد تغيرت
وبلغت الى الكثافة والغلظة والعجرفة الى حد عظيم لا تؤثر فيه الرقا
ولا تبلغ اليه المواعظ فلم يبق عندهم سلامة طبائع العامة حتى
ينقادوا الى الحق بسرعة ولا قد بلغوا الى ما بلغت اليه الخاصة من
رياضة افهامهم وتلطيف طبائعهم بممارسة العلوم التي يتعقل بها حجج
الشرعية ويعرف بها الصواب ويتميز بها الحق حتى صاروا اذا ارادوا النظر
في مسئلة من المسائل امكنهم الوقوف على الحق والعثور على الصواب و
بالجملة فالخاصة اذا بقي فيهم شيء من العصبيات كان ارجاعهم الى الانصاف
متيسر غير متعسر بايراد الدليل الذي تقوم به الحجة لديهم فانهم اذا
سمعوا الدليل عرفوا الحق واذا جادلوا او كابروا فليس ذلك عن صميم
اعتقاد ولا عن خلوص نية فرياضة الخاصة بايراد الادلة عليهم واقامة
حجج الله وايضاح براهينه وذلك يكفي فانهم لما قد عرفوه من علوم
الاجتهاد وما رسوه من الدقائق لا يخفى عليهم الصواب ولا يلتبس عليهم
الراجح بالمرجوح والصحيح بالسقيم والقوي بالضعيف والخالص بالمغشوش
ورياضة العامة بارشادهم الى التعلم ثم بالنفس لتعليمهم ما هو الحق
في اعتقاد ذلك المعلم ان كان داعيا من دعاة الحق ومرشدا من المرشدين المخلصين
ثم ترغيبهم بما وعد الله به واخبارهم بما يستحقه من فعل كفعلهم
من الجزاء والاجر ثم يجعل لهم من القدوة بافعاله مثل ما يجعله لهم من القدوة
باقواله او زيادة فان النفوس الى الاقتداء بالفعال اسرع منها الى الاقتداء
بالاقوال والعقبة الكؤد والطريق المستوعرة والخطب الجليل والعبء
الثقيل ارشاد طبقة متوسطة بين طبقة العامة والخاصة وهم قوم
قلدوا الرجال وتلقنوا علم الرأي ومارسوه حتى ظنوا انهم بذلك قد فارقوا
طبقة العامة وتميزوا عنهم وهم لم يتميزوا في الحقيقة عنهم ولا فارقوهم
الا بكون جهل العامة بسيطا وجهل هؤلاء جهلا مركبا واشد هؤلاء
تغيير الفطرة وتكدير الخلقة اكثرهم ممارسة لعلم الرأي واشبههم
تمسكا

بيان هٰذا تتعقل

مطلب

تمسكا بالتقليد واعظمهم حرصا عليه فان الدواء قد ينجع في احد
هؤلاء في اوائل امره واما بعد طول العكوف على ذلك والشغف به
والتحفظ له فما ابعد التأثير وما اصعب القبول لان طبائعهم ما زالت
تزداد كثافة بازدياد تحصيل ذلك وتستفيد غلظة وفظاظة
باستفادة ذلك وبمقدار ولوعهم بما هم فيه وشغفهم تكون عداوتهم
للحق ولعلم الادلة وللقائمين بالحجة ولقد شاهدنا من هذه الطبقة
ما لو سردنا بعضه لاستعظمه سامعه واستفظعه فان غالبهم
لا يتصور بعد تمرنه فيما هو فيه الا منصبا يثب عليه او يتيما يشاركه
في ماله او ارملة يخادعها عن ملكها او فرصة ينتهزها عند ملك
او قاض فيبلغ بها الى شيء من حطام الدنيا ولا يبقى في طبائع هؤلاء
شيء من نور العلم وهدي اهله واخلاقهم بل اشبه شيء بالجبابرة و
اهل المباشرة للمظالم ومع هذا فهم اشد خلق الله تعصبا وتعنتا
وبعدا من الحق ورجوعهم الى الحق من ابعد الامور واصعبها لانه لم يبق
في افهامهم فضلة لتعقل ذلك وتدبره بل قد صار بعضها مستغرقا بالرأي
وبعضها مستغرقا بالدنيا فان قلت فهل بقي مطمع في اهل هذه الطبقة
وكيف الوصول الى ارشادهم الى الانصاف واخراجهم عن التعصب قلت
لا مطمع الا بتوفيق الله وهدايته فانه اذا اراد امرا يسر اسبابه و
سهل طرقه واحسن ما يستعمله العالم مع هؤلاء ترغيبهم في العلم و
تعظيم امره والاكثار من مدح علوم الاجتهاد وان بها يعرف اهل العلم الحق
من الباطل ويميزون الصواب من الخطأ وان مجرد التقليد ليس من العلم
الذي ينبغي عد صاحبه من جملة اهل العلم لان كل مقلد يقر على نفسه انه
لا يعقل حجج الله ولا يفهم ما شرعه لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله
وان من ظفر من طلبه وفاز من كده ونصبه بمجرد اتباع فرد من افراد علماء
هذه الامة وتقليده وقبول قوله دون حجته فلم يظفر بطائل ولا نال
حظا من شرف النفس وقسطا من الرغبة في نيل ما هو اعلا مناقبا في الدنيا والآخرة
فقد تميل نفسه الى العلم بعض الميل فيأخذ من علوم الاجتهاد نصيبا و

جزاك الله خيرا
كل مجرب خير من
طبيب وانت
طبيب ومجرب
ونحن جربناك و
لانا لما رأيت
واعظم حما و
صفته

Copyright © King Saud University